**د. علاوي فضيلة**

**جامعة الجزائر2-أبو القاسم سعد الله**

# مقاربات فرحات عباس في مسار التحرر الوطني

## معادلات الهوية والحرية والنخبة والجماهير

**الكلمات المفتاحية: فرحات عباس- فرنسا-الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري- جبهة التحرير الوطني- الثورة –النضال السياسي**

**المقدمة:**

عرفت مرحلة التحضير الوطني للاستقلال تجاذبا كثيرا وحادا بين تيار الاصلاح الاجتماعي كقاعدة للثورة ، وتيار الاندماج الذي يبحث عن استغلال المتاح للوصول الى غايات استقلال مرحلية ، وتيار الاستقلال الوطني والثورة على الاستعمار .

وكان عباس فرحات احد الرموز الوطنية الكبرى التي صنعت الحدث في كل المراحل بتغيير الموقف تبعا للأحداث وتطوراتها وإنتاج مقاربات وصلت إلى حد التناقض لكنها في الأخير أنتجت للجزائر زعيما سياسيا أراد الثورة بالقانون ثم انتقل إلى البحث عن المصالحة داخل الحركة الوطنية ليصل الى الانخراط في ثورة تحرير ثم يصير احد أهم قادتها السياسيين ليصنع لنا إشكاليات في فهم مقارباته التي نزعت الى العلمانية المعتزة بالإسلام ، والى الحرية المتماهية مع المستعمر ، والى الثورة في ظلال القانون وهي نقائض لا تجتمع في عقد واحد الا في مقاربات فرحات عباس التي كانت ترى جزائر تستوعب التناقضات يسعى هو إلى تحقيقها بأيسر التضحيات لكنه لم يستطع لان للحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق فهل كان الاندماج في فكر سياسة فرحات عباس حقيقة مستمرة ام مناورة سياسية ؟

### 1. عباس فرحات بين إكراهات الواقع ورؤى المستقبل

لقد كان عباس فرحات نموذجا سياسيا مميزا في حركة النضال الوطني خلال منتصف القرن العشرين ، وقد شكلت له حرية شعبه هاجسا مستمرا لازمه طيلة النضال وصحبه الى النهاية .وإذا كان الناس قد عرفوا فرحات عباس رئيسا للحكومة المؤقتة ورئيسا لأول برلمان جزائري فقد عرفوه أيضا فرحات عباس الاندماجي .

ولكن غاب عنا اوغيب عنا معنى الهوية الوطنية في فرحات عباس الذي ظل متمسكا بالإسلام والعربية باعتبارهما الوعاء الذي لا يمكن أن تكون الجزائر بدونهما شيئا مذكورا لأنها بدونهما لم تكن من قبل قد عرفت شخصيتها المتميزة كما طمح اليها أمثال يوغرطة او ماسينيسا .

كما غيبت عنا مقاربات عباس في ملف الحرية والاستقلال وهي مقاربات الإعداد والتدرج التي تسير عليها السياسات الواعية والقوى العاملة في حقل التغيير والتحرر وتنزع إليها النخب التي درست حركة التاريخ وتعي المتاح أمامها مثلما قال هو " : كان علينا بداية انقاد شعبنا بالوسائل المتاحة من الانحطاط الذي يعيشه عن طريق تعليمه وتثقيفه وتشغيله ، ليدافع عن حقوقه ريثما يحل اليوم الذي يطالب فيه بتقرير مصيره بنفسه ".

ولا يمكن أن نحكم على هذه الرؤى من خلال حالة الطفرات مهما كانت نتائجها لأن البيئة التاريخية حاكمة على الحدث التاريخي في سياقه وليس في سياقات الأزمنة التالية له .

وقد كانت الثورة طفرة تاريخية أخلطت أوراق مصالي الحاج وبعثرت اديولوجيته التي أسس في إطارها رؤى الاستقلال ، وجعلت موقفه يرفض الانخراط فيها وينهي مساره النضالي ضد جبهة التحرير التي وصمته بالخيانة في حين استوعبت فرحات عباس الذي يقارب مصالي الحاج في الرمزية ولكنه يختلف معه في التدرج والمرونة السياسية والانحياز لمصلحة الوطن والشعب قبل الذات والحزب .

وأيضا لا يمكننا أن نعتمد بإطلاق رواية التاريخ التي تدفعها دوافع الخصومة والرفض فتاريخ عباس فرحات لم تكتبه الأقلام الحرة بل هيمنت عل كتابته كغيره السياسات السلطوية التي وضعته في الإقامة الجبرية ، ولا تزال ملفات التاريخ لم تتحرر كليا إلى الآن رغم محاولات رد الاعتبار المتواصلة باتجاه رموز التاريخ ضمن مسارات المصالحة التاريخية الحديثة الاعتماد.

ان فرحات عباس خاض معادلات نضالية عسيرة بمقاربات منهجية في لحظات تاريخية قلقة فلم تستطع كيمياء الصيدلي أن تجنب النضال مضاعفات بعض العقاقير التي قاومتها مناعة جسم الثورة في منطلقها ثم تقبلتها لتصنع الاستقلال ولكنها لم تستطع إن تستوعب التطور الفكري والسياسي والرؤية الاستشرافية لعباس لأنها بقيت تقيس الأفكار من زاوية نظر البندقية وتقتات من رصيد الشرعية الثورية وحكايات المجد الماضي في حين كان عباس فرحات رجلا من كوكب المستقبل .

## 2. مركب الاستعمار يكشف وهم المساواة في مجازر ماي 1945

ثار الشعب الجزائري مباشرة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، معبرا عن فرحته بانتصار فرنسا وحلفائها على النازية الألمانية في مظاهرات سلمية رفع خلالها لافتات كتب عليها " تحيا الجزائر " أطلقوا سراح « مصالي الحاج » '' تحيا الجزائر المستقلة '' و" لِتسقط الإمبريالية "[1].

كان ذلك يوم الثلاثاء 8 ماي 1945 اين قام الاستعمار بقتل 45000 جزائري وتحويل المظاهرات السلمية إلى مجزرة رهيبة لخلق الفزع في النفوس، وحل الأحزاب السياسية

المناهضة له ولسياسته الهادفة إلى الاستئثار بالسلطة والاستيطان ، ومنها حركة أحباب البيان التي أسسها فرحات عباس يوم 1944/03/14.

كانت تلك المجزرة الرهيبة التي قام بها الاستعمار الفرنسي بمثابة "الصاعق-المفجر" التي أيقظت التيار الإصلاحي الاندماجي من تأثير تبعيته لفرنسا، إذ غيّر التيّار مواقفه من الاستعمار فأضحى يرفض أي سياسية اندماجية[2]. و عبر فرحات عباس زعيم هذا التيار الإصلاحي عن تلك الأحداث بقوله :

**"... إن حوادث 08 ماي 1945 رجعت بنا إلى القرون الوسطى والحروب الصليبية، بل إلى ما هو أشّد خطورة من ذلك فيما يتعلق بفرنسيّي الجزائر إننا رأينا اليوم نخبهم تعذب وتنكّل وتقتل أبرياء طيلة أسابيع وأسابيع ... ولم يعترفوا بهذه الجرائم إلاّ أنّهم كانوا ولا يزالون يعتبرون الجزائري رجلا منبوذا وعدوا لدودا وإنسانا ناقصا، فإن لم يتبرأ جميع الأوروبيين من مركب الاستعمار و من عجرفة الغازي وغطرسة المحتّل وإن نسوا بأن أوروبا كانت تئّن بالأمس تحت نير الاحتلال النازي وإن لم يفعلوا ذلك فلا يمكن حينئذٍ قيام دولة جزائرية تتعايش في ظلّها جميع الطوائف ..."**

كما صرّح بأنّ أحداث 08 ماي 1945 أدّت إلى دفن سياسة المطالبة بالاندماج التي انتهجها هذا التيار منذ 1927 و رفع محلّها مطالب الاستقلال[3]. بما يعني ظهور عملية تحوّل زعيم الاتجاه السياسي للتيار الإصلاحي الاندماجي ليعتنق الاتجاه الاستقلالي[4] .

على إثر مصادقة البرلمان الفرنسي- على قانون العفو الشامل عن المساجين أُطلق سراح فرحات عباس يوم 16 مارس 1946 فعاد من جديد إلى مواصلة نضاله السياسي أين أنشأ في أفريل 1946 حزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري "UDMA"[5] ثم وجه على إثره بيانا إلى الشباب الجزائري الفرنسي والمسلم يدعوه إلى العمل السلمي والتضامن وتحطيم النظام الاستعماري معيدا طرح برنامج أحباب البيان الذي تلخصت مبادئه في " لا نريد إدماجا و لا أسياد جدد ولا انفصالا، غايتنا هي إبراز شعب فتي تقود خطاها الديمقراطية الفرنسية "[6].

وبالرغم ان برنامج عملهم الجديد لا يختلف كثيرا عن برنامج أحباب البيان والحرية الا ان جريدة الجمهورية الجزائرية التي تعبر عن أهدافهم كبديل لجريدة المساواة " Egalité وتحويلها " إلى الجمهورية " La République Algérienne" لها دلالة خاصة في تغيّر آراء و اتجاهات فرحات عباس ورفاقه من فكرة المساواة بين الجزائريين والفرنسيين إلى فكرة إنشاء جمهورية جزائرية مستقلة .

ومع ذلك فانه ظل يحمّل دعاة حزب الشعب مسؤولية الزج بالشعب للمجزرة بسبب الاستعجال ويضمن ذلك في نص "وصيتي السياسية"[*] " Mon Testament politique " حيث يتضّح من الوثيقة تحميله حزب الشعب الجزائري مسؤولية ما حدث من مجازر في الثامن ماي 1945[7]، ويتهمه بالعمل على المطالبة بالاستقلال قبل الأوان ، متسائلا عما يريد أن يفعل به هؤلاء اللذين رافقوه شطرا من الطريق ، ويعني بهم " المصاليين "، مع أنه أخذ فيما بعد يؤمن بمذهبهم بالقول " بالمؤامرة الاستعمارية " و تآمر السلطة أو الإدارة مع الأقلية الاستيطانية أو الكولون بنية إجهاض الحركة الوطنية التي عبّرت عن نضجها ووحدتها في إطار حركة أحباب البيان [**].

### 3. المواطنة ليست وحدها الشخصية الجزائرية

لقد احتل فرحات عباس مقدمة المشهد الوطني بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وتعاظم دوره إلى حد أنه أصبح رمز الوطنية الجزائرية[8]، و تبلورت في فكره رؤى جديدة تجاه قضية الشخصية الجزائرية، وهو ما عكسته تصريحاته الإعلامية حيث حمل لقاءه الصحفي مع مراسل يومية "Tireur-Franc" الباريسية، في جوان1946 في مقال بعنوان "Allon-nous perdre l'Algérie" ، والذي سئل فيه عن موقفه وما يعنيه تأسيس الشخصية الجزائرية، فأجاب: " الشخصية الجزائرية في نظري ترتكز على حق المواطنة الجزائرية لكل سكان الجزائر سواء كانوا أوروبيين أو يهود أو عرب، بدون أي تفرقة"[9]، و هو يعني ظهور عنصر المواطنة من خلال مقياس "سكان الجزائر" ، و الفصل فقط من خلال التفريق في المرجعية القانونية المميزة بين المواطنين، فاعتبر أن عمق هذه المواطنة يفصّل حسب الاحتكام القانوني، حيث قال: " إنني أرى داخل هذه المواطنة نوعين الأولى تسيّر بالقانون المدني و الثانية تسيّر بالقانون الإسلامي"[10]، وهو يقصد بذلك أن السكان العرب يحتكمون في شؤونهم إلى القانون الإسلامي، أما اليهود والأوروبيين فيرجعون في عملية الاحتكام إلى القانون المدني.

ولكنه في مسار التحول أجاب عن السؤال المتعلق بمدى فعالية سياسة الإندماج في ظل التحولات السياسية الراهنة خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بأن " سياسة الإندماج موقف مشرف ولكنها لا تأخذ بعين الاعتبار الحقائق التاريخية ، والتجارب أكدت أنه لا يمكن تجسيدها على أرض الواقع لأنها تتجاوز التطلعات والجهود الفكرية لتوحيد الأمة الإسلامية"[11]، كما أضاف بشكل يوضح موقفه أكثر " إن للجزائر شخصيتها المستقلة وتستحق أن تعطى لها حياة مستقلة ولا يفهم من هذا أننا إنفصاليون، ولكن تصورنا عن الفيديرالية واضح لا يعتريه غموض"[12].

وساهمت في هذا التحول نحو رؤية أوضح للشخصية الوطنية موافقة البرلمان الفرنسي بتاريخ 20 ديسمبر 1947 على القانون الجديد للجزائر و منحها للجزائريين نمطا من الشخصية الجزائرية في إطار الجمهورية الفرنسية ، إذ تم تكوين مجلس جزائري بهيئتين إنتخابيتين متساويتين 60 مقعدا للكولون ، و 60 مقعدا للمسلمين، وهو ما يعبّر عن استجابة لِمطالب الحركة الوطنية منذ حركة الأمير خالد[13]، لكن تبيّن فيما بعد لتيار فرحات عباس أن نظام التصويت واتخاذ القرارات داخل ذلك المجلس قد وضعه الكولون على مقاسهم فكان رد الفعل باستقالة 4 نواب من حركة الاتحاد الديمقراطي احتجاجا على قانون 20 ديسمبر 1947 رغم ان نواب حركة انتصار الحريات الديمقراطية لم يستقيلوا، وبقوا يحتّجون على القانون من داخل البرلمان في فرنسا[14].

لقد زادت خيبة أمل فرحات عباس وتياره وتأكد له عدم جدوى أسلوب التغيير او فعالية التغيير عن طريق الثورة بالقانون[15]، و هو ما دفع به إلى رفض المشاركة في انتخابات المقاطعات التي جرت في أكتوبر 1951، بسبب حملات التزوير المتكررة التي أصبحت تقوم بها الإدارة الاستعمارية بعد أن خبرها جيدا بما كان يملك من التقاليد الحزبية المتراكمة منذ مؤتمره الأوّل في سنة 1948 بسطيف[16]، و مؤتمره الثاني في أوت 1949 بتلمسان، و الثالث أيام 7،8،9 سبتمبر 1950 بقسنطينة .

لقد تبنى فرحات عباس منذ المؤتمر الأول من 25 إلى 27 سبتمبر 1948، المبادئ التغييرية ضمن القبول بالاندماج في شخصية المستعمر السياسية ولكن ذلك لم يشفع له في المقاربات الفرنسية رغم انها نادت بمطالبها ضمن استمرار الإمبراطورية الفرنسية وهي مطالب تعلقت بحق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها ، وتحرير المسجونين السياسيين ، وإلغاء الانتخابات المزوّرة، التأكيد على التعليم[17]، وهي المطالب التي كانت تعبر عن شخصية جزائرية في ظل الحالة الاستعمارية ولكن الاستعمار أصر على رفض الشخصية الجزائرية مهما كان مستوى تمثيلها فكان ذلك دفعا باتجاه تحرر فرحات عباس من سياسات الملاطفة ورؤى الاندماج نحو البحث من زاوية نظر أخرى عن تلك الشخصية التي لم يجدها من قبل.

### 4. النخبة انقلت خطى عباس نحو التحررية

لقد كان فرحات عباس يهدف إلى تحقيق مطالب النخبة و الضغط على الإدارة الكولونيالية، فطّور أفكاره التنظيمية عن طريق إنشاء تحالف رغم التناقضات الصارخة في الأهداف والنوايا، فموقف عباس السلبي من المحاولات التوحيدية التي قد عرضها عليه حزب الشعب الجزائري ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية عكس غياب الفكر التوحيدي لأنه كان يرى الوحدة

في إطار فرنســـا، وليس الوحدة الجزائرية ، بالرغم من أنه دخل في الجبهة الجزائرية من أجل الدفاع عن الديمقراطية والحريات التي تكونت في 06 أوت 1951.

و مع أن عباس عمل من خلال النخبة المثقفة ثقافة فرنســـية ومكانة اجتماعية مميزة ، لكونها من العائلات الكبيرة والغنية وأصحاب المهن الحرة [*] ، وتدعي تمثيل الأهالي في المجالس البلدية و المندوبيات المالية والمجالس النيابية الفرنسية ، فإن البرنامج السياسي[18]الذي أنشأه التيار الإصـــلاحي قد تميز عن باقي برامج التّيارات الأخرى ولكنه تلاقى معها ، حيث كانت أهدافه السياسية، والاقتصادية و الاجتماعية مرحلية وقابلة للتطور.

- إنّ المطالب الســـياســـية لهذا التيار عرفت تطورا في محتواها من الاندماج مع فرنسا إلى التعايش معها إلى المطالبة بالاستقلال في إطار إتحادي مع فرنسا[19]، و هي المطالب الســـياســـية التي تضـــمنها بيان الشـــعب الجزائري[*]، باعتباره البرنامج السياسي الذي أصبح يناضل من أجله التيّار الإصلاحي منذ سنة 1943... [**] ، كما أظهرته القطيعة التي أحدثها المنتخبون المسلمون مع سياسة الإدماج وانتقالهم إلى انتهاج سياسة الانفصال والتحرر[20]، وكان هدفهم الجديد يدور حول فكرة واحدة هي (منح الجزائر دســـتور دولة ذات ســـيادة) وهو ما عبّر عنه فرحات عباس بالثورة بالقانون وترجمه شعار " التحرر والاتحاد "[21].
- وقد مرّت المطالبة بتلك الأهداف الســـيـاســـيـة بثلاثة أطوار من 1943 إلى 1954 دون تحقيقها ، فبالنسبة للمطالب الاقتصادية والاجتماعية أخذت بعين الاعتبار الظروف الاقتصـــادية والاجتماعية والثقافية الصـــعبة جدا التي كان يعيشها الشعب الجزائري.

و على الرغم من أن النخبة كانت تتكـــــون من النبلاء والأشراف والأغنياء والمثقفين والنواب وأصحاب المهن الحرة[22]، ولا تعاني كثيرا من تلك الصـــعوبات إلاّ أنها لم تهمل هذا الجانب في مطالبها[23]، وركزت على العوامل التي تســـاعدها على الاندماج كالمدرســـة و الثانوية والجامعة في محاولة للارتقاء إلى مستوى الحالة المتحضرة[24]، وإلغاء الفوارق الكبيرة بين أجور الأوروبيين وأجور الأهالي المســـلمين، واهتمت كذلك بالإســـكان، والتوزيع العادل للســـكن بين الأوروبيين والأهالي المســـلمين واهتمت بمظهر اللاّمســـاواة في جميع مجالات الحياة كالتوظيف، والعلاج ،و التأمين ، والعلاوات والهجرة، والتعليم ، و الترويج لفكرة الأمّة الجزائرية المرتبطة فيدراليا بجمهورية فرنســـا كمرحلة في طريق تطور مطلب التحرر

### 5. البحث عن الاستقلال عبر وحدة الحركة الوطنية

لقد كانت أوّل مبادرة لإرســـاء قواعد تنظيمية ســـياســـية وحتى قانونية لظاهرة التحالفات السياسية في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية هي قيام المؤتمر الإسلامي سنة 1936.
وعلى إثر أمرية 07 مارس 1944[25]، قام فرحات عباس بتاريخ 14 مارس 1944 بعدة مســـاعي تنسـيقية لتحضـير برنامج سـياسي موّحد[26]، أخذ فيه بعين الاعتبار آراء الشـخصـيات والقيادات التي اتصل بها، وعلى الأخص مصالي الحاج الذي استضافه في بيته لمدة يومين بسطيف.
كما استخدم التيار الإصلاحي وسيلة أخرى للضغط على الحكومـة الفرنسيـة تمثلت في تقديم الاســـتقالات الجماعيـة و الفرديـة، و ذلك طيلة الفترة الممتدة من 1930 حتى 1954[27]، إضـــافة إلى الحملات الانتخابية التي كان يقوم بها المرشحون لتعبئة وتجنيد الرأي العام للأهالي لفرض مطالبهم أمام الإدارة الاســـتعمارية[28]. وهذه كلها كانت تقاطعات مع التيارات الوطنية الاخرى مثلت منصات للتعاطي المشترك مع القضية الوطنية ومساحات عمل مشترك.

و الجدير بالذكر أن بيان الشـعب الجزائري الذي سـاهم في وضـعه الجميع حسـب ما صرّح به عباس فرحات بنفسـه في كتابه " ليل الاسـتعمار" قد أصبح هو البرنامج السياسي الذي تبّناه المؤتمر الأوّل لتحالف " أحباب البيان " الذي جـرى يومي 14–16 مارس 1944، وحضرته كل التنـظيمات السياسية الأهليـة خاصـة المنتـخبون، و العلماء، وحزب الشعب الجزائري وغاب عنه الشيوعيون.

ولان الزمن تحول لصالح حزب الشعب وأفكاره الوطنية ، والخشية من صعود نجم فرحات عباس، بينما لا يزال مصالي تحت الإقامة الجبرية، راح المصاليون يحُطّون من قيمة عباس حتى أن ''شادلي المكي'' قال لمناضلي حزب الشعب بأنه لا يثق في عباس، بحجة أنه مستعد لخيانة الجميع حتى ولو كانت أفكار البيان نفسـها فلما زاد منسـوب الدعاية المسـيئة لشـخصـه ، قرّر عباس الالتقاء بمصـــالي الحاج يوم 23 ديســـمبر 1944[29]، بإقامته الجبرية " روبيل " " الشـــلالة" لإبرام اتفاق بين حزب الشـــعب وأحباب البيان للســـعي وراء إيجاد قاعدة عمل مشـتركة ، ثم اجتمعا مرة أخرى بعد الإفراج عن مصـالي بالعاصمة ، وعقد الاجتماع من 20 إلى24 فيفري 1945، وكان يسـعى لردّ الاعتبار للوفاق الذي تحطّم بسبب راديكالية المصاليين و اعتدالية عباس ، و انتهى اللقاء الذي حضره ممثلون عن العلماء بإصـدارهم لِبيان مشـترك ركّز على الجنســية الجزائرية وإتحاد الأحزاب ومقاطعة الانتخابات المقبلة ، و في كل مرّة كان عباس يظهر ميلا متزايدا لأطروحات حزب الشعب[30].

ولكن التوافقات لم تستقر ففي يوم 13 أكتوبر 1946م قدّم مصالي إلى الجزائر وتعرّف على الدور الأساسي الذي أصبح يلعبه ، أولائك الشبان الذين التحقوا بالحزب بين 1941م

- 1942م ضمن حزبه المتواجد في السرية ، وأدرك في نفس الوقت أهمية شعبيته في أوساط الجماهير.

فلما دبّت الخلافات بين مناضليه حول المشاركة في الانتخابات المقبلة، وقضية إنشاء حركة شرعية[31] ؛ استغل مصالي الحاج شخصيته الكاريزماتية لكسب مزيد من الدعم الشعبي وأنشأ حزبا جديدا في 10 نوفمبر 1946 باسم حركة انتصار الحريات الديمقراطية .

عبر فرحات عباس عن رأيه في هذا التطور قائلا: " عندما قال " بينو" للحاكم العام "شاتينيو" أنّه سيقطع الطريق أمامي، أجابه شاتينيو قائلا:" لا أرى سوى رجل واحد بإمكانه أن يهزم عباس هو مصالي الحاج إذاً عليكم أن تفعلوا كل شيء لكي يهزمه مصالي" ويضيف فرحات عباس، "هذه هي الظروف التي دخل فيها مصالي إلى الجزائر للمشاركة في الانتخابات التشريعية تحت راية أحزاب أخرى غير حزب الشعب"[32].

وكان مصالي يرى عكس ما رآه عباس فاستمرت الحرب الكلامية بين الرجلين ، حتى أن مصالي اتهم عباس بالعمل مع شاتينيو، و مع ذلك التقى الرجلان من جديد قبل تشريعيات نوفمبر 1946م، فطالب مصالي من عباس بأن لا يشارك في الانتخابات حتى يترك كل الفرص لحركة انتصار الحريات الديمقراطية فوافق عباس رغبة منه بعدم وقوفه أمام حزب وطني آخر رفع قضية الاستقلال عاليا[33]، وأثناء الحملة الانتخابية شرع فرحات في تنصيب هياكل حزبه الجديد ودعا إلى إتحاد القوى الوطنية للوقوف في وجه الدسائس الاستعمارية.

### 6. الثورة بالقانون خيبت طموح فرحات عباس

بعد تأسيس حركة "أحباب البيان والحرية" انعقد في مارس 1945 مؤتمر كبير طالب فيه المؤتمرون بإطلاق سراح الحاج مصالي، وعبّر عباس عن أفكاره في هذا التجمع بقوله " إن الجزائر شهدت نزول قوات أجنبية مرتين، الأولى في سيدي فرج، الثانية في وهران والجزائر، وتحمل الثانية بشرى أكثر من الأولى ". و لم يستطع عباس أن يسيطر على عقول المؤتمرين، فقد طالبوا بالإعتراف بالهوية الجزائرية، وإقامة دستور جزائري ديمقراطي وجمهوري، وبرلمان منتخب يحل محل المجالس الجزائرية، وكذا إلغاء الحكومة العامة و تكوين حكومة جزائرية تكون مسؤولة أمام البرلمان، وأخيرا الاعتراف بالألوان الجزائرية[34].

وحين أسس فرحات عباس الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري على أنقاض أحباب البيان والحرية قال في تصريح صحفي له مع يومية "Le Combat" في جوان 1946، عندما سئل عن موقفه من الإنفصال أو الاستقلال " إن تطورنا الحقيقي لا يتحقق إلا بإقامة برلمان جزائري مستقل لا يمثل السكان الأصليين فقط بل كل سكان الجزائر يهود وأوروبيين، ولم

يكن أبدا في نيتنا إقامة دولة إسلامية. سنواصل بناء دولة جزائرية بكل قوانينها المدنية تتساوى فيها الحقوق للجميع بدون تمييز عرقي أو ديني"[35]، ويضيف في نفس السياق ما يلي: "يهتم البرلمان الجزائري بكل القضايا الوطنية والمحلية، وستتكون الحكومة الجزائرية من أوروبيين ومسلمين حيث تتولى مهمة تطبيق وتنفيذ القرارات"[36]، وهذه التصريحات كانت في الحقيقة تعبر بعمق عن المبادئ التي قام عليها الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ومن جملتها ما يلي :

- **على الجمهورية الفرنسية أن تعترف بالاستقلال التام للجزائر، و بالجمهورية الجزائرية والعلم الجزائري.**
- **إن الجزائر عضو في الإتحاد الفرنسي ، ويكون للجزائر ممارسة فعلية للسلطات في الإتحاد .**
- **تتمتع الجمهورية الجزائرية بالسيادة المطلقة في جميع تراب القطر الجزائري**
- **يتمتع كل فرنسي في الجزائر بالجنسية الجزائرية**
- **اللغتان الفرنسية والعربية هما اللغتان الرسميتان في الجمهورية الجزائرية ويكون التدريس إجباريا باللغتين في كل الأطوار، وجعله في متناول جميع الجزائريين.**
- **تبقى المدارس العمومية الموجودة في الجزائر على حالها الراهن**
- **سيبقى للحكومة الفرنسية الحق في بناء المدارس الأخرى إلاّ أن مصاريف هذه المدارس تتحملها الميزانية الفرنسية.**

وهكذا بدأ يتبيّن و بوضوح تطّور مواقف فرحات عباس ، بحيث أنه أصبح يطالب بتأسيس أمة جزائرية مستقلة استقلالا ذاتيا وهذا بالرغم من أن فرحات عباس ظل يؤمن "بالثورة بالقانون"[37].

التحق فرحات عباس بموجة النقد اللاذع للنظام الكولونيالي بنفس الحدّة والغضب، و في المؤتمر الثاني للحزب المنعقد من 16 إلى 19 سبتمبر 1949، فقد وجّه عباس فرحات دعوة إلى هيئة الأمم المتحدة من أجل تحرير الشعوب[38]. للنظر في المسألة الجزائرية في 1951م .

وشارك عباس فرحات ، والحزب الشيوعي الجزائري PCA، وجمعية العلماء المسلمين، في تأسيس الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرّيات،كرد فعل لتزوير الانتخابات التشريعية عام 1951[39]، واستنكر في اجتماع اللجنة المركزية للإتحاد الديمقراطي في نفس العام السياسة العنصرية لحكومة الجمهورية الفرنسية الرابعة ، ودعا الجزائريين للالتفاف حول البيان للقضاء على النظام الكولونيالي وإنشاء حكومة جزائرية [40]، رافضة هذا الوضع الجديد مما شكل

إرهاصا لخوض تجربة ثورية جديدة في ظل جبهة التحرير الوطني التي تجاوزت عقد الانتماءات المنفصلة مثل ما حدث في تجربة تأسيس الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات ، بإيديولوجيا واحتواء استوعبت الجميع عبر الدخول والذوبان فيها كأفراد وليس كتنظيمات قائمة، وعليه يمكن القول أن فرحات عباس قد انتقل إلى مرحلة جد متقدمة للمساهمة في الإعداد الفكري والتنظيمي لثورة شاملة وجادة.

**7. الوعاء القيمي لنضال فرحات عباس**

"يسبح الشعب الجزائري في الإسلام كما يسبح السمك في الماء"، هذه المقولة ليست "لعبد الحميد بن باديس" مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ولا لخليفته الشيخ "البشير الإبراهيمي"، و للشيخ "العربي التبسي- " ولا "للطيب العقبي" ولا "للفضيل الورتيلاني" ولا "لأحمد سحنون"، ولا لغيرهم من أئمة وعلماء الجزائر، بل هي لذلك الصيدلي الذي اكتشف "أوعمران" أنه لم يكن متجنسا كما كان يقال عنه، ففرحات ومنذ ذالك الوقت يؤكد أن أي مشروع سياسي يأتي ليعاكس ما تنص عليه تعاليم الإسلام تكون نهايته الفشل المحتوم"[41]، وبناءا على هذه المواقف المبدئية التي كان يتبناها الرجل تجاه قضية الإسلام التي ارتبطت بالشخصية الجزائرية، وكانت محل نقاش وطني واسع، وهي تحسم بشكل واضح موقف الزعيم الانماجي.

ويبرز هذا الموقف في حواراته مع العلماء التي كانت محل إعجابه وإشادته، حيث عبر فرحات عباس في كتابه "الاستقلال المصادر" عن ذلك الإعجاب تجاه وصية الشيخ "العربي التبسي" الذي زاره قبل توجهه إلى القاهرة في مارس 1956، بطلب من جبهة التحرير الوطني، مشددا على الوصية التي تركها له الشيخ وهو يخاطبه: "لا أدري إن كنا سنلتقي مرة أخرى، ولهذا أوصيك بأن لا تنسى- أن الجزائر مسلمة، فباسم الإسلام يحارب الجزائريون اليوم، ومن أجله يقبلون الموت، فلا تعد إلى هذه البلاد إلا إذا تحررت ، وعندما يوفق الله ويأتي وقت إعادة بناء البلاد، ضعوا الإسلام في مركز البناء وسيعينكم الله"، كما أكد من جهة أخرى ان كل الحركات السياسية التي ستنشأ في الجزائر بعد استرجاع الشعب لحرياته ستفشل لا محالة إذا حاولت نكران إسلامية الشعب الجزائري "فالشعب الجزائري يسبح في الإسلام كما يسبح السمك في الماء" كما كان يقول دائما[42].

وكذلك كان موقف عباس من قضية اللغة العربية فقد صرح لصحيفة " Le Combat " الفرنسية في جوان 1946،حين سئل عن مكانة اللغة العربية فقال: " إننا لا نقبل في أي حال من الأحوال أيّ نوع من الإقصاء، الإقصاء الحقيقي الذي يهمش اللغة العربية التي يعتبرها لغة أجنبية على أرضها الأم "الجزائر" ويضيف "لا لغزو الثقافة الإسلامية في

السلطات الإدارية فاللغة العربية هي لغة حضارة عريضة، والدين الإسلامي فيه من الروحانية مما لم يفسح المجال للديانات السماوية الأخرى".

وتابع فرحات عباس قوله "ولأننا عرب ومسلمين ولأن جمعية العلماء تدافع بكل قواها عن اللغة العربية والإسلام مما جعلهم أصدقائنا ونحن كذلك"[43].

ويضيف "إن محاربة جمعية العلماء المسلمين للجهل والأمية ومطالبتهم بالإعتراف باللغة العربية يعتبر حقا يجب أن يذكر، وأن الدين الإسلامي يجب أن يتحرر كلية، وعليه فإنه يستحق منا الضغط والوقوف إلى جانبهم بدون أي تحفظ، فجهودهم جبارة في هذا المجال، مجال تعليم أطفالنا فهم في كل مرة يؤكدون على ذلك ويبرهنون عليه من خلال فتح العديد من المدارس، فلهم الفضل في تعليم وتربية أولادنا وبناتنا الذين كانوا على حافة الأمية والجهل، فهم الآن يتعلمون لغتهم الأم وينهلون من روح الدين الإسلامي السمح"[44].

## 8. هم الجزائر لم ينس فرحات عباس أمّته

أدى فرحات عباس دورا متميزا في دعم القضية الفلسطينية على المستوى السياسي والإنساني ويعكس هذا الموقف عضويته في اللجنة الجزائرية التي أنشأت في جوان 1948 من أجل إغاثة وتقديم المساعدات للشعب الفلسطيني على إثر اغتصاب الكيان الصهيوني لأرض فلسطين[45]، وقد كان دور فرحات عباس في هذه اللجنة فاعلا جدا حيث كان مقترحه للشيخ البشير الإبراهيمي رئيسا لهذه اللجنة وهو المقترح الذي تحقق بعد ذلك وعلى إثره انسحبت حركة انتصار الحريات الديمقراطية من المبادرة بعد رفض فرحات عباس أن يكون مصالي الحاج رئيسا لها[46].

وقد كانت القضية الفلسطينية واحدة من أهم القضايا الدولية و العربية التي أخذت بعدا وطنيا في برنامج النضال السياسي، وكانت محل عمل مشترك بين جميع أطياف الحركة الوطنية.

ولعل هذا الموقف المشرف من قضية فلسطين يعكس عمق الرؤية النضالية والاستشراف المستقبلي والتوسع في مفاهيم العمل القومي كساحة من ساحات العمل المشترك و التعاوني كما يوضح جانبا هاما من التحالفات التي كان يعقدها عباس في مثل هذه القضايا .

## الهوامش :

(1) Benjamin Stora - Zakya Daoud, Ferhat Abbas-une autre Algérie-, Editions casbah, Alger, 1995. P P 146-147.

و لمزيد من التفصيل راجع :

- محمد رفعت، تاريخ حوض المتوسط وتياراته السياسية، دار المعارف، مصر، 1959، ص207.

(2) فرحات عباس، ليل الاستعمار، (ترجمة بوبكر رحّال)، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 114 . ولمزيد من التفصيل أنظر :

-Redouane Ainad Tabet, Le 8 mai 1945 en Algérie, OPU, Alger, 1985,p133

وأنظر كذلك :

-André Nouchi, La naissance du nationalisme Algérien, Edition Minuit, Paris, 1962, P 142.

(3) Youcef Beghoul, " Le manifeste du peuple Algérien – Sa contribution au mouvement national " , D. E. S , Institut d'Etudes politiques, Faculté d'Alger, 1974, p190 .

و لمزيد من التفصيل أنظر كذلك:

- Ageron Charles Robert, Histoire de L'Algérie contemporaine , Edition P.U.F , Paris , 1979, Tome 2, P 428.

وانظر أيضاً : موريس ديفرجيه، علم الاجتماع السياسي،( ترجمة سليم حداد)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، بيروت،1991، ص ص 102-103.

(4) Mohamed Chafik Mesbah, " Idéologie Politique du Mouvement National en Algérie 1936-1956 ", Thèse de Doctorat d'Etat en Sciences Politiques , Université D'Alger, Juin 1981, P255

(5) Jauffret, J.C, La Guerre d'Algérie par les documents, L'avertissement 1943-1946, Service historique de l'armée de terre, Tome 1, P527.

وأنظر فرحات عباس، ليل الاستعمار، مرجع سابق، ص 119.

(6)محمد حسنين ، الاستعمار الفرنسي، ط4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص ص89-90.

(*) أنظر الوصية السياسية للسيد فرحات عباس ، الوثيقة عبارة عن مخطوط عثر عليه الدكتور عبد الحميد زوزو سنة 2003. هذه الوثيقة عبارة عن وصية كتبها فرحات عباس خلال وجوده بالسجن سنة 1946م، وهي لتبرئة نفسه و ((أحباب البيان)) من أية مسؤولية عما وقع من مجازر 08 ماي 1945.

و لمزيد من التفصيل راجع: عبد الحميد زوزو، محطات في تاريخ الجزائر دراسات في حركة الوطنية والثورة التحريرية (على ضوء وثائق جديدة)، دار هومة، الجزائر، 2004، ص ص206 إلى 214.

(7) عبد الحميد زوزو، مرجع سابق، ص 214.

(**) لمزيد من التفصيل راجع : نشرية لحزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بعنوان :" من البيان إلى الجمهورية الجزائرية ".

(8) علي تابليت، فرحات عباس رجل دولة، دار ثالة، الجزائر، 2007، ص 33.

(9) Abdelkader Mimouni, Le Manifeste Algérien dans la Presse Française (Métropole et Algérie), 1ère Edition, Les Editions En-Nahdha, 1946, P 72.

(10) Abdelkader Mimouni, Op.cit; PP 72-73

(11) Abdelkader Mimouni, Op.cit; P 84.

(12)Abdelkader Mimouni, Op.cit; P 84.

(13) لِمزيد من التفصيل راجع : نشرية لحزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بعنوان :" من البيان إلى الجمهورية الجزائرية "
(14) Benjamin Stora , Zakya Daoud, Op. cit ; P180 .
(15) Pierre Rossignol, "Les Partis Politiques Musulmans en Algérie de leur origine au 1er Novembre 1954" , Thèse de Doctorat d'Etat en droit, Paris,15 juin 1962, P 244 .
(16) ولمزيد من التفصيل راجع:
Rossignol Pierre,Op.cit, P 244.
(17) Benjamin Stora, Zakia Daoud, op ,cit. ,P 185.
(*) النخبة أمثال فرحات عباس ، والدكتور سعدان، وأحمد فرانسيس، وابن حبيلس الشريف، وغيرهم...
(18) عبد الله شريط، مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الإيديولوجي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 165.
(19) لمزيد من التفصيل راجع : عمار بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962، طبعة أولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص ص 288-289.
(*) تمثلت مطالب بيان الشعب الجزائري في :

- إدانة الاستعمار والقضاء عليه.
- تطبيق تقرير المصير لجميع الشعوب الصغيرة منها والكبيرة.
- منح الجزائر دستورا خاصاً بها.
- حرية جميع السكان والمساواة بينهم بدون ميز جنسي أو ديني .
- إلغاء الإقطاعية الفلاحية وذلك بإصلاح زراعي واسع النطاق.
- حرية الصحافة وحق الاجتماع.
- حرية الدين لجميع السكان مع تطبيق قانون فصل الدين عن الدولة بالنسبة للدين الإسلامي
- مشاركة المسلمين في حكم بلادهم مشاركة عاجلة وفعالة، ولمزيد من التفسير أنظر:

-1 H 1729, " L'Algérie devant le conflit mondial " Le Manifeste du Peuple Algérien, Service historique de l'armée de terre, Château Vincennes.
(**) عرفت الفترة الممتدة ما بين 1940 و 1943 فراغا سياسيا كبيرا في جانب الحركة الوطنية بسبب حل حزب الشعب الجزائري وسجن قادته وحل الحزب الشيوعي ووفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .
(20) Benjamin Stora , Zakya Daoud, Op.cit; P 138.
(21) عباس فرحات ، مرجع سابق، ص 108.
(22) Ben Naoum Ahmed, " Classes sociales et mouvement national démocratique en Algérie " , 1830 -1954, Mémoire pour D.E.S. en Sciences politiques, Université d'Alger 1970, PP.48-64.
(23) Le Tourneau Roger, Evolution politique de l'Afrique du Nord 1930-1961, Ed Armond Colin, Paris, 1961 P.78.
(24) Mahfoud Smati, Les élites Algériennes sous la colonisation, Edition Dahleb, Alger, 1998, Tome 1 , P.195.
ولمزيد من التفصيل أنظر: عباس فرحات، مرجع سابق، ص 92 .
(25) Jauffret, J.C, Op.cit ; Tome 1, PP 53-54.
(26) منذ بداية شهر فيفري 1943 قام فرحات عباس بالاتصال مع عدّة قيادات وشخصيات من العلماء وحزب الشعب الجزائري ، الحزب الشيوعي والشخصيات المستقلة والنواب فعرض عليهم الفكرة التي لقيت قبول الجميع ، وقام بتحرير بيان الشعب الجزائري في 10 فيفري 1943 م.

ولمزيد من التفصيل أنظر :

-1 H 1729, " L'Algérie devant le conflit mondial " Le Manifeste du Peuple Algérien, Service historique de l'armée de terre, Château Vincennes.

و أنظر أيضا: نفيسة دويدة، تطور فكرة الوطنية الجزائرية عند فرحات عباس 1927-1955، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر ،2005 ، ص ص 47-48.

(27) عبد الرحمن بن إبراهيم العقون،الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر،الفترة الثانية 1930 – 1945، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، الجزائر، الجزء الثاني، ص197.

(28) Jean Claude Vatin , L'Algérie Politique, La Fondation nationale des sciences politiques , Paris, 1972, P184

(29) حميد عبد القادر، مرجع سابق، ص98.

(30) Jauffret, J.C, Op.cit, PP 233-235..

(31) حميد عبد القادر، فرحات عباس رجل الجمهورية، مرجع سابق، ص114.

(32) Ferhat Abbas , Autopsie d'une guerre, Editions Garnier Frères, Paris, 1980 , P P 137 - 138.

(33) وهذا ما عبّر عنه فرحات عباس بأنّه لم يكن يرغب في الوقوف ضد حزب وطني لمزيد من التفصيل انظر: Ferhat Abbas, OP.cit ;P P 60 – 61.

(34) علي تابليت، مرجع سابق، ص 32.

(35)Abdelkader Mimouni, op.cit; 87.

(36)Abdelkader Mimouni, Op.cit; 87.

(37) يحي بوعزيز، ثوارات الجزائر في القرنين 19 و20، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.س.ن)، ص287.

(38) 1H 3399, Octobre 1950, "Point essentiels ressortant des bulletins de l'enseignement joint-(extrait)", 10ème Région Militaire, Générale de division Callier, Service historique de l'armée de terre, Château Vincennes.

-Benjamin Stora, Zakia Daoud, Op.cit; P185.

(39) Mahfoud Kaddache, Histoire du Nationalisme Algérien, ENAL , Alger , 1993 ,Tome 2 , PP 872–873.

(40) حميد عبد القادر، فرحات عباس رجل الجمهورية، مرجع سابق، ص 122.

(41) أحمد صاري "فرحات عباس ... رجل من هذا البلد" مقال كتب في صحيفة اليوم الجزائرية، العدد 24 ديسمبر 2000.

(42) نفس المرجع.

(43) Abdelkader Mimouni, Op.cit; PP 88-89.

(44) Abdelkader Mimouni, , Op.cit; P 89 .

(45) 1H 1261, 10ème Région Militaire, Division de Constantine, Etat- Major, 2ème Bureau, La Question Palestinienne. Service historique de l'armée de terre, Château Vincennes.

(46) Mahfoud Kaddache, Histoire du Nationalisme Algérien, Op.cit ; P 841.